المصـــــدر : المجلة
التـــاريخ : 26-02-2006 العـــدد : 1359
الصفحـات : 56 المسلسل : 33

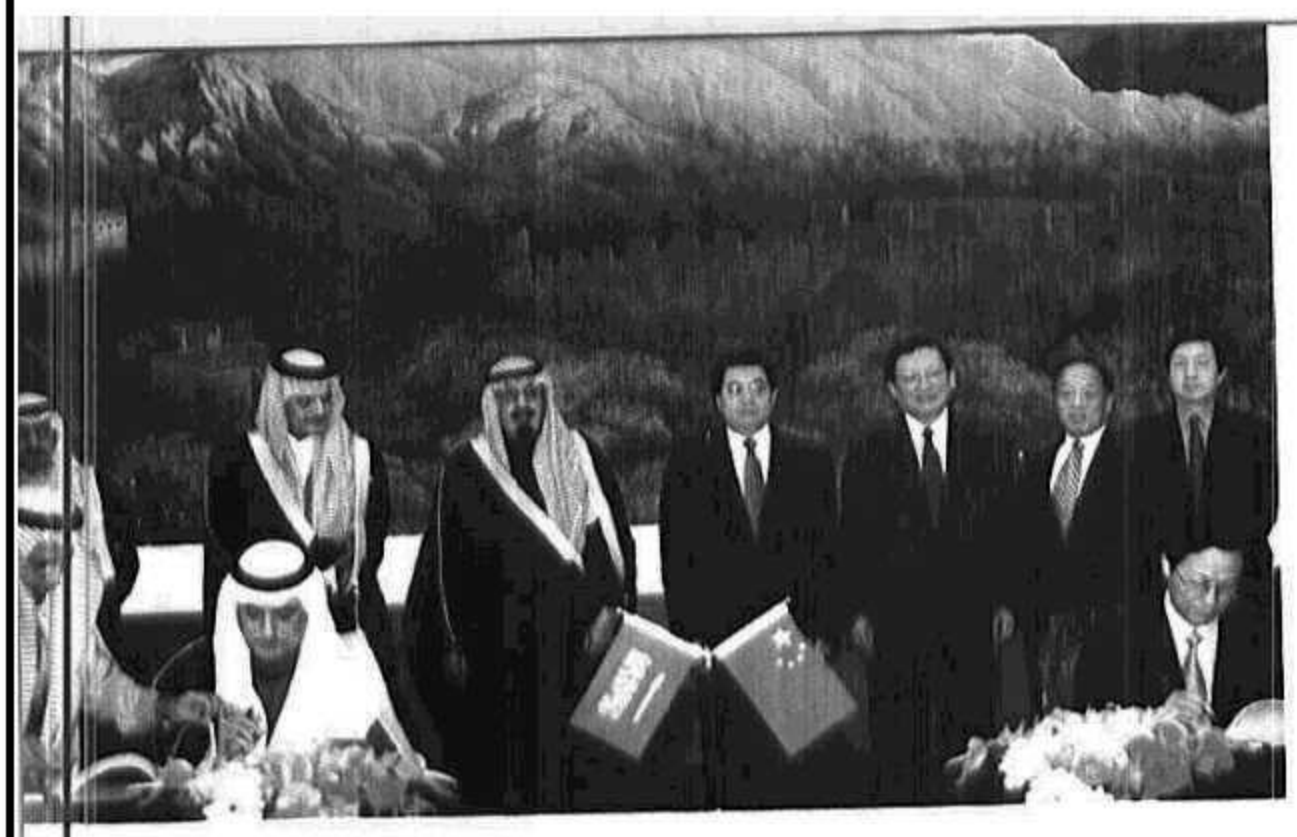

مال وأعمال

نهاية العوالم عصر التحولات الآسيوية

شكلت زيارة خادم الحرمين الشريفين إلى دول شرق آسيا الرئيسية تحولا تاريخيا في العلاقات السعودية الخارجية، ويرى الخبراء أنها تشكل خطوة مهمة على طريق تدعيم التعاون بين الدول الإسلامية ودول الحضارات القديمة في آسيا.

د. سامي عفيفي حاتم

■ كثر الحديث عن فقدان العالم الثالث لكثير من مفاتيح التعامل مع قضايا التنمية الدولية، إذ يرجع البعض هذا الوضع إلى عدم قدرة هذه الدول على فهم واستيعاب المتغيرات التي شهدها العالم منذ 1991م، وهو العام الذي يراه الكثير من المفكرين والمحللين على أنه يمثل خطا فاصلا في تاريخ البشرية يفرق بوضوح بين التراث الحضاري والإنساني الذي تراكم لدى البشرية قبل هذا التاريخ، وذلك التراث المعرفي والتكنولوجي الذي شهدته حقبة التسعينات من القرن العشرين وحتى منتصف العقد الأول من القرن الواحد والعشرين. وقد لا يكون من قبيل المبالغة ما يردده هؤلاء المفكرون والمحللون من أن المعرفة التي وضعت البشرية أصابعها عليها تفوق الاف المرات ما عرفته البشرية قبل عام 1991م.

ومهما كانت طبيعة المبالغة حول هذه التحليلات والنظرات المستقبلية لعالم الغد، فإننا في جميع الأحوال نراه عالما غريبا على دولنا في عالمنا الثالث، قد لا نراه بدقة، ولم نتمكن من وضع أيدينا على كثير من ملامحه حتى ننخرط فيه، ونتمكن من التفاعل مع أحداثه، إنه عالم ديناميكي سريع الإيقاع، تتلاحق فية الأحداث، يشهد طفرات نوعية قوامها عالم المعرفة وتكنولوجيا المعلومات، إنه حقا عالم مخيف لمن لا يعرف جوانبه.

ونحاول فيما يلي أن نطرح تشخيصا لعالم الغد كما طرحته الأدبيات الغربية من منظور الاقتصاد السياسي، ولكن بقدر ما فهمناه نحن الكتاب العرب صناع الحضارة ومسطرو أولى صفحات التاريخ، ومهد الديانات السماوية، وأصحاب المجد والانتصارات التي مهدت لصناعة التاريخ وهيأت السبيل لعصر المفكر العالمي المعروف فوكوياما... وهو العصر الملقب بـ «عصر نهاية التاريخ».

ويحكي لنا الكتاب والمحللون الغربيون أن عصر فوكوياما قد شهد أيضا ظروفا مواتية وملائمة للحديث عن عصر نهاية التاريخ. ففي مطلع حقبة التسعينيات من القرن العشرين امتلأت الساحة العالمية بالعديد من التحولات الكبرى كان في مقدمتها ميلاد النظام العالمي الجديد الذي عبر عنه بوش الأول رئيس أمريكا الأسبق بعد حرب تحرير الكويت في فبراير 1991 بأننا على أعتاب عالم جديد، عالم أحادي القطبية تنفرد فيه الولايات المتحدة بريادة العالم ليتحول فيما بعد في عهد بوش الثاني الرئيس الأمريكي الحالي إلى العصر الامبراطوري لنعيد من خلاله ذكريات الامبراطورية الرومانية منذ الاف السنين.

وعلى الساحة الاقتصادية اقترن عصر نهاية التاريخ بميلاد النظام التجاري الدولي متعدد الأطراف الذي تشرف عليه منظمة التجارة العالمية، وهو النظام الذي يمثل الحليف الاستراتيجي ورفيق ظاهرة العولمة.

وفي رحاب هذا التحالف أصبحت منظمة التجارة العالمية أداة طيعة لتحويل الكرة الأرضية إلى عالم واحد لا يعرف الحدود، ولا يقر بوجود الحواجز، ويهدف إلى إلغاء الحدود بين وحدات الكرة الأرضية. ويؤدي ذلك في التحليل الأخير إلى إنشاء منطقة التجارة الحرة العالمية التي تسبح فيها السلع والخدمات، وتنتقل عبر أثيرها تكنولوجيا المعلومات، ويتنافس فيها المتنافسون، ويكافأ فيها الفائزون على انتصاراتهم حتى ولو كان ذلك على حساب الضعفاء.

ظواهر اقتصادية جديدة

وفي تقرير للأمم المتحدة ينعي فيه معدو التقرير الأوضاع الإنسانية المؤلمة في أفريقيا جنوب الصحراء من خلال إبراز حقيقة أن ما يتقاضاه لاعب الكرة الفرنسي المشهور زين الدين زيدان في اليوم الواحد يعادل ما يتقاضاه المواطن الأفريقي جنوب الصحراء في المتوسط خلال 109 سنوات (مائة وتسع سنوات ميلادية). ويدل هذا الرقم على تردي الأوضاع الإنسانية والاقتصادية في القارة السمراء التي كاد التاريخ أن ينساها رغم أنها ضحية لجحافل الاستعمار الذي نهب ثروات شعوبها وحولها إلى واقع إنساني مرفوض إنسانيا وأخلاقيا.

توحي إلينا المعلومات التي سطرتها المقدمة السابقة إلى أن عام 1991 مثل بداية جديدة لمرحلة جديدة في تاريخ البشرية عزز من وجودها مجموعة من الأحداث المتلاحقة التي شهدتها الساحة العالمية بعد أحداث 11 سبتمبر (أيلول) 2001. إذ يؤكد المحللون على أن هذه الفترة بشرت بميلاد العديد من الظواهر الاقتصادية المهمة التالية:

ميلاد نظام اقتصادي عالمي جديد ارتكز على مثلث يعرف اصطلاحا بمثلث إدارة الاقتصاد العالمي: منظمة التجارة العالمية، صندوق النقد الدولي، البنك الدولي. والجديد في هذا النظام هو اكتمال ضلعه الثالث، أي الضلع التجاري، من خلال بناء نظام تجاري عالمي جديد متعدد الأطراف تقوده منظمة دولية هي منظمة التجارة العالمية. وفي رحاب هذا النظام تسبح السلع والخدمات، وتتدفق فيه رؤوس الأموال دون عوائق تحد من حريتها، أو تقف حجر عثرة في طريق انتقالها.

ميلاد ظاهرة العولمة، وخاصة العولمة الاقتصادية التي ترتكز على المستهلك الكوني، والسلع الكونية، والمنتجين الكونيين، والأسواق الكونية، والشركات الكونية كمحاور ارتكازية تستند عليها الأعمدة الارتكازية للاقتصاد العالمي الجديد.

وفي تعبير بليغ لأحد الكتاب عن هذه الظاهرة حيث يشير إلى أن العولمة ظاهرة لها وصيفتان تعملان على خدمتها ونضجها: الوصيفة الأولى وهي المنظمات الاقتصادية الدولية والتي يقع في مقدمتها كل من صندوق النقد الدولي، ومجموعة البنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة اليونسكو (خاصة بعد اعتبار المنتج الثقافي أحد مكونات التجارة الدولية طبقا لاتفاقيات جولة

المصـــــدر : المجلة
التـــاريخ : 26-02-2006 العـــدد : 1359
الصفحـات : 57 المسلسل : 33

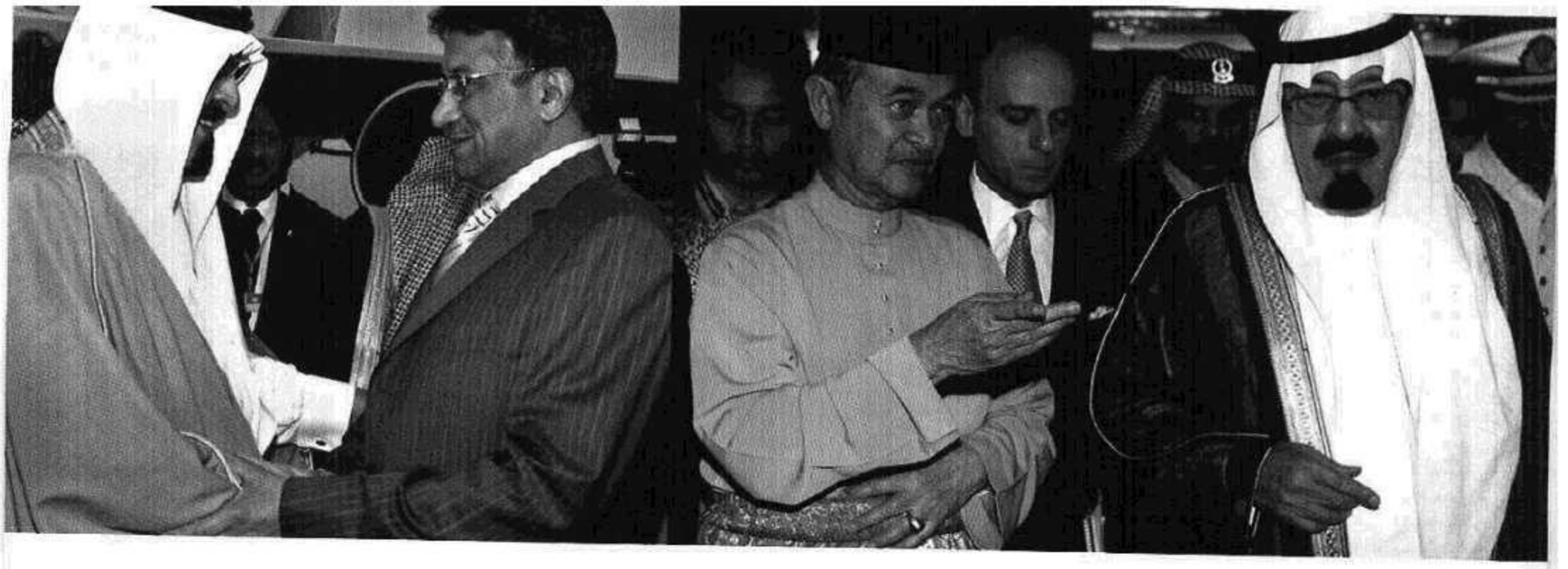

أوروجواي).

أما الوصيفة الثانية، فهي الشركات متعددة الجنسيات صاحبة المصلحة الأولى في هذا الخضم الهائل من التحولات الاقتصادية العالمية. فلقد أصبحت هذه الشركات هي القوة الكبرى التي تقود الاقتصاد العالمي، وتحركه في اتجاهات مصلحتها الخاصة، الا وهي تحقيق أقصى ربح ممكن، والسيطرة على الأسواق العالمية، وتحريك كل الأدوات المتاحة لخدمة أهدافها المعلنة وغير المعلنة.

وللتدليل على قوة وضخامة الدور الذي تلعبه الشركات الكونية . أو الشركات متعددة الجنسيات . في الاقتصاد العالمي نقول أن نصيب حوالي 200 شركة منها من الناتج الإجمالي العالمي قد بلغ 47% في العام المنصرم. وفي تقرير للأمم المتحدة عن حركة الاستثمارات الدولية يوضح أن عدد الشركات الكونية قد بلغ حوالي 35 ألف شركة في العام 1990، ارتفع هذا الرقم إلى 63 ألف شركة في عام 2000، وتزاول هذه الشركات الكونية أنشطتها عبر شبكة واسعة من الفروع بلغت ما يقرب من 150 ألف فرع في مختلف أنحاء العالم في العام 1990، ليزداد عددها إلى 800 ألف فرع في عام 2000.

تحولات في الجغرافيا

تهميش دور اقتصاديات الدول النامية، وتلك الأقل نمواً في الاقتصاد العالمي، مع اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء. فمن المفارقات الغريبة أن حجم الدعم الزراعي الذي تقدمه دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية للمزارعيين يوازي أكثر من ستة أضعاف إجمالي مساعدات التنمية المقدمة من هذه الدول إلى الدول الفقيرة، مع العلم بأن المزارعيين يمثلون حوالي 5% من إجمالي سكان هذه الدول. فلقد بلغ حجم الدعم الذي تقدمه دول هذه المنظمة للمنتجين الزراعيين بها 275 مليار دولار كمتوسط سنوي خلال الفترة 1986 . 1988، ثم ارتفع إلى 326 مليار دولار في عام 1999، ثم بلغ هذا الدعم المحلي للمزارعين 317 مليار دولار في عام 2003، وهو رقم يمثل 1.3% من الناتج المحلي الإجمالي للدول الأعضاء في هذه المنظمة. ومن المضحك حقا أن مقدار الدعم اليومي الذي تتلقاه البقرة الواحدة في أوروبا الغربية يبلغ 2.5 دولار في اليوم، ليرتفع إلى 7.5 دولار في اليوم في اليابان. وفي الوقت نفسه نجد أن دخل الفرد في المتوسط في اليوم الواحد أقل من دولار في ثلث سكان الكرة الأرضية، وأقل من 2 دولار في اليوم الواحد لحوالي ثلثي سكان الكرة الأرضية. وأمام هذه التحولات الاقتصادية الكبرى على الساحة الدولية اعتباراً من العام 1991 فلقد تغيرت كثير من مفاهيم الجغرافية السياسية المعاصرة. فلقد دفع هذا الوضع الجديد كل من بيتر تيلور، وكولن فلنت في مؤلفهما «الجغرافية السياسية لعالمنا المعاصر» إلى القول بأن التقسيم الثلاثي للكرة الأرضية إلى عالم أول، وعالم ثان، وعالم ثالث لم يعد له محل من الإعراب في الفكر المعاصر وواقع الاقتصاد العالمي.

أدت هذه التحولات إلى فقدان الأساس الذي يقوم عليه هذا التقسيم المتوارث من عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية فلقد اختفى كل من العالم الثاني والعالم الثالث من تلك الثلاثية

فلقد أدت هذه التحولات إلى فقدان الأساس الذي يقوم عليه هذا التقسيم المتوارث من عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. فلقد اختفى كل من العالم الثاني والعالم الثالث من تلك الثلاثية كمقولتين تحملان معنى: فالعالم الثاني بوصفه بديلاً اشتراكياً قد اختفى من الوجود بانهيار الاتحاد السوفيتي رسمياً في 21 ديسمبر 1991 ونهاية عصر الحرب الباردة، كما اختفى العالم الثالث المكون من الدول الفقيرة مع ظهور الاقتصاديات الآسيوية الباسيفيكية، وهي التي عرف الكثير منها بالنمور الاقتصادية. وتمثلت النتيجة النهائية في وجود «عالم واحد» مرتكز على ثلاث مناطق جغرافية رئيسة في العالم واقعة على كرتنا الأرضية هي: أمريكا الشمالية، أوروبا، آسيا الباسيفيكية ■

* أستاذ الاقتصاد الدولي والتجارة الخارجية بجامعة حلوان. المحكم الدولي بمنظمة التجارة العالمية